خطوة موفقة لقناة الـ (LBC)

محمد عبدالله

خصصت قناة الـ (LBC) اللبنانية مؤخرا حلقة خاصة عبر برنامج «انت والحدث» لمناقشة التعذيب في مراكز الشرطة والسجون في احدى البلدان العربية وتم خلال البرنامج عرض مشاهد من التعذيب.

على الرغم من ان التعذيب في السجون العربية متفشٍ بشكل مرعب إلا ان تناول هذا الموضوع في وسائل الاعلام العربية من صحف وفضائيات وغيره يكاد يكون معدوما ولا يتم ذكر هذا الموضوع إلا بشكل عابر ومتفرع من مواضيع محورية اخرى ويمر الموضوع مرور الكرام على ألسنة ضيوف البرامج، مما لا يعكس الحجم الحقيقي لهذه الظاهرة أو العادة.

فلا توجد فضائية عربية تخصص برنامجا أو حلقة لتناول موضوع التعذيب والتجاوزات في السجون في بلد عربي بعينه مع ذكر اسم البلد بكل صراحة وعرض الادلة والافلام للاثبات كما فعلت شذا عمر في برنامجها «انت والحدث».

نعم لقد خصصت الكثير من وسائل الاعلام العربية بعضا من برامجها وصفحاتها للتحدث عن التجاوزات والتعذيب في السجون مع عرض الافلام والصور وذكر الاسماء بكل صراحة، ولكن في السجون الامريكية وليس في السجون العربية، ولو كان ثمة متابعون للاعلام العربي على كوكب آخر غير كوكب الارض لاعتقدوا ان الاعلام العربي المهني والمحترف هو الذي يكافح من اجل فضح تجاوزات حقوق الانسان في الولايات المتحدة الامريكية، فالكل يعرف اسماء المعتقلين العرب والمسلمين الثوار والارهابيين في السجون الامريكية والاسرائيلية، ولكن الكثير لا يعرف اسماء الاقتصاديين والكتاب والمثقفين العرب في السجون العربية.

عندما نقول الفضائيات العربية فاننا بطبيعة الحال لا نضم قناة «الحرة» الى هذه الجوقة، كما انها القناة الوحيدة حاليا التي تخصص بعضا من حلقاتها وبرامجها كبرنامج «عين على الديمقراطية» الذي يقدمه محمد الحيحاني للتعرض الى معتقلي الرأي وضحايا التعذيب في السجون دون مداراة او تحرج من ذكر الاسماء مع المحافظة على المهنية وتجنب اثارة العواطف وتأليب الرأي العام، حتى قناة الجزيرة التي قادت تغييرا ايجابيا مهما في الاعلام العربي ما زالت غير قادرة على ملامسة الواقع بشكل موضوعي والابتعاد عن العموميات واثارة العواطف في مواضيع حقوق الانسان، وقد يجوز لنا ان نرجع هذا التفاوت بين قناة الحرة والقنوات العربية في طرح مواضيع حقوق الانسان الى كون قناة الحرة قناة امريكية تدعم التوجه الليبرالي الذي في الأساس يدعم حقوق الانسان والاقليات، اما القنوات العربية فهي ممولة او مدارة من جهات اسلامية وقومية مما يضعها في حرج من ذكر الاشياء باسمائها ووضع النقاط على الحروف، فلو رجعنا الى ادبيات الاحزاب والانظمة القومية والاسلامية من جهة وقارنا بينها وبين الاعلام العربي من جهة اخرى لوجدناها تتشابه من ناحية الخطاب السياسي العاطفي والعموميات والادعاء باحتكار الحق والحقيقة والاصرار «بشكل غريب» على تحسين الصورة وفي ذات الوقت الاصرار «بشكل غريب» على عدم تحسين الجوهر، مما يأخذك الى قناعة بان هذا الاعلام من ذاك الاسد، او بتعبير آخر أختك مثلك.

فالمواطن العربي المحطم الذي يعاملك بازدراء وتعجرف من موقعه كمدرس في المدارس العربية هو نفسه الذي يعاملك بذات الاسلوب على نقاط التفتيش وفي اقسام الشرطة وهو نفسه الذي يستلم ويسلم الرشوة ويخرج في الشارع ليهتف بالروح والدم نفديك يا رئيس وهو ذاته الذي يمنع عنك الحقائق ويظللك عندما يتولى الاعلام.

نتمنى من قناة (LBC) الاستمرار على هذا النهج الجديد والجاد، في انتظار ذكر اسماء اهم من اسم عماد الكبير وقضايا اكبر من قضيته وتسليط الضوء على ممارسات تعذيب ابشع مما حصل لعماد الكبير.

رسالة إيلات التي أخطأت العنوان

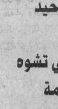

صلاح عيسى

على عكس ما يحدث عادة، اتسمت ردود الفعل العربية والفلسطينية – على العملية الانتحارية التي قامت بها عناصر من المقاومة الفلسطينية في مدينة إيلات الإسرائيلية يوم الاثنين الماضي – بحالة من الحيرة والتخبط، لا تتناسب مع أهمية العملية باعتبارها الأولى من نوعها التي تقع في هذا المنتجع السياحي، الذي يفخر الإسرائيليون بأنه الموقع الأكثر أمانا وهدوءا، وبعدا عن خطر الارهاب الفلسطيني، وباعتبارها كذلك الأولى من نوعها التي تقع منذ تسعة أشهر.

صحيح أن بعض تداعيات العملية، بدت طبيعية ومتكررة ومتوقعة، في مثل هذه الحالات، لم يكن أولها التضارب بين البيانات التي أصدرتها ثلاثة من فصائل المقاومة، ادعت كل منها مسؤوليتها عن العملية هي سرايا القدس – الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، وكتائب شهداء الأقصى – الجناح العسكري لحركة فتح، وجيش المؤمنين وهي مجموعة جديدة، أعلن فيما بعد أنها قسم من سرايا القدس،، ولم يكن آخر هذه التداعيات سيل التصريحات التي كررت المواقف الثابتة لأصحابها تجاه هذا النوع من العمليات.

انتقد ياسر عبدربه، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وقطب حركة فتح الحاملة بأمانها وأمثالها لا تخدم القضية الفلسطينية، بل تسيء إلى صورة الشعب الفلسطيني أمام الرأي العام العالمي، ودعا بان كي مون، الأمين العام للأمم المتحدة، قوات الأمن الفلسطينية لمنع أي عمل آخر من هذا النوع، وحذر البيت الأبيض الأمريكي من أن فشل الحكومة الفلسطينية في اتخاذ إجراءات لوقف العنف، سوف يؤثر في علاقتها بالمجتمع الدولي، وأدان الملك عبدالله الثاني العملية، وطالب أحمد أبو الغيط، وزير خارجية مصر، جميع الأطراف بضبط النفس والامتناع عن الأعمال التي من شأنها تعقيد الوضع في الأراضي المحتلة، وإجهاض التحركات الرامية للتوصل إلى تسوية عادلة ودائمة للصراع.

وصحيح أن آخرين لم يسعدوا بما جرى، على الرغم من قناعتهم بأن المقاومة الفلسطينية المسلحة حق مشروع لكل الشعوب التي لا تزال أراضيها تحت الاحتلال، وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني، الذي يكاد يكون الوحيد الذي تنطبق عليه هذه الصفة، باستثناء العراق وأفغانستان، وهما حالتان خاصتان، لأنها استهدفت مدنيين إسرائيليين كانوا يتسوقون في مخبز بأحد المراكز التجارية، فقتلت منهم ثلاثة وأصابت ما يقرب من مائة، على الرغم من أن التجربة أثبتت أن المستفيد الوحيد من اتخاذ المدنيين هدفا لهذا النوع من العمليات، إسرائيل التي تستثمرها عادة لكي تشوه سمعة المقاومة الفلسطينية، وتقوي الاتجاه المتشدد في سياستها تجاه الحلول المطروحة للصراع، وتدعم الاتجاه العالمي الذي يصم المقاومة بالارهاب، ويدرجها ضمن قوائمه، مما أدى إلى انكماش عدد المتعاطفين مع الحق الفلسطيني بين صفوف الرأي العام العالمي، خصوصا في أوروبا، على عكس العمليات المسلحة التي تتوجه إلى أهداف عسكرية، لا يستطيع أحد أن يدينها، حتى لو كان الرئيس الأمريكي نفسه.

المهم وهو أن الرسالة التي حملتها عملية إيلات، لم تصل إلى العنوان الذي أراد مخططو العملية أن تصل إليه. فطبقا لما قالته حركة الجهاد الإسلامي، إحدى الجماعتين المتنازعتين على شرف القيام بها، إنها كانت – جزئيا – بمثابة رسالة إلى حماس وفتح للتوحد ضد إسرائيل، وقالت والدة منفذ العملية محمد السكسك، وهو شاب في العشرينات من عمره، استشهد فيها، أن هدفه كان إيقاف الاقتتال الداخلي في فلسطين، ونقلت عنه قوله لها قبل أن يغادر منزله لتنفيذها، لا بد أن تصحو حماس وفتح، فالاقتتال بينهما جريمة لا يستفيد منها إلا العدو.

وفي تنويعة على اللحن نفسه، قال ناطق باسم حركة الجهاد إن العملية جاءت في توقيتها المناسب، كصرخة توقظ ضمائر الاخوة المتقاتلين في فتح وحماس لتعيدهم جميعا إلى جادة الصواب والحق، ولتقول لكل أبناء الشعب الفلسطيني ان عدونا الذي ينبغي توجيه كل الحراب إلى صدره، هو العدو الصهيوني المجرم الذي يعيث فسادا وإفسادا في أرضنا ومقدساتنا، وهو ما أيدته بقية الفصائل الفلسطينية.

ومع أن كثيرين أدهشهم التناقض بين سرايا القدس، وكتائب شهداء الأقصى، أو بين حركتي الجهاد وفتح للحصول على شرف القيام بالعملية، إلا أنهم لم يحاولوا البحث عن حل لهذا اللغز، بعد أن أصبحت مثل هذه المنازعات ظاهرة متكررة، بقدر ما توقفوا أمام التناقض بين موقف قيادة حركة فتح، التي أدانت العملية، وبين قيام جهازها العسكري بها، منفردا أو بالاشتراك مع غيره، كما توقفوا أمام التناقض بين كون كتائب الأقصى، وهي جزء من فتح، وقد اختارت هذه الطريقة لكي ترسل إلى قيادتها رسالة تنبهها فيها إلى وقف الاقتتال الداخلي بينها وبين حماس، مع أن هناك وسائل كثيرة تستطيع بها أن تبلغ قيادتها مضمون الرسالة، من بينها أن تنأى بنفسها عن هذا الاقتتال، ولا تشارك فيه، وأن تمارس نفوذها التنظيمي داخل الحركة للدعوة لوقفه، أو أن تستخدم قوتها العسكرية للفصل بين المتحاربين والحيلولة دون مشاركتهما في ارتكاب الجريمة التي لا يستفيد منها سوى العدو.

ما يلفت النظر كذلك أن المرسل إليه الثاني، الذي وُجهت إليه عملية إيلات، وهو حركة حماس، قد تجاهل تماما أن الرسالة موجهة إليه، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أن الهدف الرئيسي منها هو وقف جريمة الاقتتال الداخلي، التي تشترك حماس مع فتح في ارتكابها، واكتفى المتحدث باسم الحركة، أن يصدر الرسالة، لطرف ثالث، هو المرسل إليه الفرعي، وهو الاحتلال الإسرائيلي، مؤكدا أن من حق المقاومة أن تدافع عن أبناء الشعب الفلسطيني، مشددا على أن العملية تأتي في سياق الردود على جرائم الاحتلال الإسرائيلي.

على الأرض وفي اليوم نفسه، تواصل الصدام الدامي بين فتح وحماس، فقُتل ثلاثة أشخاص ليرتفع عدد ضحايا الصراع بين الطرفين إلى 33 قتيلاً، وأكثر من 100 جريح خلال أربعة أيام، على الرغم من أن الطرفين كانا قد وافقا على دعوة العاهل السعودي لوقف الاقتتال بينهما، وعلى الاجتماع في مكة، للبحث عن صيغة للتوافق تقوم على اعتبار الدم الفلسطيني خطاً أحمر، لا يجوز لأحد أن يتخطاه.

وبصرف النظر عما إذا كانت رسالة إيلات هي الصياغة الأفضل لعودة الخط الأحمر الفلسطيني ليفصل بين الفريقين أو لم تكن، فإنها لسوء الحظ لم تصل إلى من وُجهت إليهما.

المستفيد الوحيد إسرائيل التي تستثمرها لكي تشوه سمعة المقاومة

رئيس بخس حقه

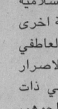

ميرزا أمان

mirzaman@batelco.com.bh

لم يظلم المجتمع الأمريكي والمجتمع الدولي عموماً رئيساً أمريكيا مثلما ظلم الرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش الابن، أو الأصغر كما يرمز إليه حرفا الـ ج و الـ آر اللذان عادة ما يذيلان إسمه. فبعد أن نسبت ولا تزال تنسب إليه، بلاوي العام تلك التي سمع عنها وتلك التي لم يسمع عنها قط، إتهم بأن به مسحة من غباء ان لم نقل أكثر قبله من الرؤساء الأمريكيين. الغريب في الأمر ان مثل هذا الإتهام لم يوجهه له شخص عربي أو مسلم بل أشخاص أمريكيون منهم من تبوأ مراكز سياسية في الإدارات الأمريكية السابقة ومنهم من هو اكاديمي معروف يدرس في جامعة أمريكية مرموقة.

هذا الظلم الذي يعاني منه الرئيس بوش لا نجد له ما يبرره أو يؤيده. فخطوات الرجل وقراراته وأعماله، التي وصفت ظلما في الكثير من الأحيان بالمغامرات، ومنذ ان تولى الرئاسة في يناير 2001 حتى الآن كلها تنم عن حنكة وفطنة ودراية بالأمور الداخلية والخارجية. بل أكثر من ذلك. تلك القرارات والمواقف كانت لها مردودات إيجابية على المصالح الأمريكية ومصالح أصدقاء الولايات الأمريكية في العديد من بقاع العالم و ماحصلت عليه هالليبيرتون وأخواتها وبنات عمها لهو أكبر دليل على ذلك.

في بداية حياته الرئاسية و بقليل من الخبرة في المجال السياسي قرر ان يستولي على ميراث أبيه من المعارف والأصحاب. لذلك أحاط نفسه بالعديد من خدموا اباه عندما كان في الرئاسة وان يمنحهم المناصب التي يشعرونها أو اعلى منها. وعندما وجد ان عددهم لا يكفي لملء كل الحقائب الوزارية إستعان بآخرين كان لهم الفضل في قيادة السباق الذي تم بين البطاقات الإنتخابية العذراء والحيلي، ذلك السباق الذي أتى به الى البيت الأبيض. ما إن أنهى تعيينات الوزارية حتى إتهمت إدارته باليمينية المتطرفة. ماذا يعمل الرجل إذا كان من وقف معه هم هؤلاء الذين يوصفون باليمين المتطرف؟ هل يتنكر لهم وينسى معروفهم ويأتي بآخرين لم يكن لهم دور أثناء حملته؟ وإن تجرأ وعمل ذلك، ألا يعتبر ذلك نكرانا للجميل؟

بعدها بثمانية أشهر تقريبا جاءت غزوة منهاتن وما صاحبها من محاولة غزوات لواشنطن فما كان من الرجل إلا ان اعلنها حربا صليبية على من قاموا بذلك العمل وهددوا بغزوات مماثلة لسائر المدن الأمريكية الشهيرة.

صحيح ان خلفيته الداوودية وانفعالية ليول ما حدث دفعاه لإستخدام كلمة «صليبية» لكن الرجل عاد وسحب كلمته وزار المركز الإسلامي في واشنطن وإعتذر. وحتى بمنع غزوات لادنية (نسبة الى بن لادن) قام بمهاجمة من خطط الغزوات وطارده في مقاره وجحوره ليمنعه من تكرار عمله، دافعه في ذلك حماية بلده والبلدان الصديقة لبلده من غزوات مماثلة. الذي لا شك فيه هو ان هجومه على كابول وتورابورا وغيرها في بعض المدن والجبال الأفغانية حال دون وقوع غزوات عديدة على شاكلة غزوة منهاتن وغزوة لندن. غزوات ربما لم تكن لتتوقف عند حدود الولايات المتحدة الأمريكية بل تتعداها أو تسبقها. فتحل في دول أوروبية وحتى عربية وإسلامية.

عرف بأن الخطر الذي يحيط بأمريكا وأصدقائها لا يأتي ممن شرب قساوة جبال تورابورة فقط بل أيضا من رئيس دولة لا يتردد في شن ليس غزوات بل إجتياحات لدول. رئيس عقيدته تبيح له استخدام كل ما يحصل عليه من أسلحة مهما كانت شدة فتكها أو قوة دمارها. حاول أهل بلده التخلص منه عدة مرات فلم يتمكنوا وأصبح واضحا ان الحل لابد أن يأتي من الخارج. تبرع الرجل الرئيس جورج بوش، وتصدى لتلك المهمة الصعبة. أرسل الآلاف المؤلفة من جنود بلاده وهو يعلم ما الذي يمكن ان يتعرضوا له وأخرج مليارات الدولارات من خزينة بلده لإنفاقها على تلك المهمة. تكللت المهمة بالنجاح وأعلنها صريحة من على ظهر إحدى حاملات الطائرات الأمريكية: «المهمة أنجزت». سقطت بغداد وفر بطل أم المعارك الى جحر يختبيء فيه من صيادي بوش. ولكن الصيادين تمكنوا من تحديد الحفرة التي تأويه فأخرج منها فاغرا فاه مسلما أمره لأسره. أنشئت محكمة تحاكمه على جرائمه ومع أول قضية حوكم فيها عليه بالإعدام. ولم يبق ليحاكم هو بالإضافة لسائر المدن الأمريكية الشهيرة.

صحيح ان خلفيته الداوودية وانفعالية ليول ما حدث دفعاه لإستخدام كلمة «صليبية» لكن الرجل عاد وسحب كلمته وزار المركز الإسلامي في واشنطن وإعتذر. وحتى بمنع غزوات لادنية (نسبة الى بن لادن) قام بمهاجمة من خطط الغزوات وطارده في مقاره وجحوره ليمنعه من تكرار عمله، دافعه في ذلك حماية بلده والبلدان الصديقة لبلده من غزوات مماثلة. الذي لا شك فيه هو ان هجومه على كابول وتورابورا وغيرها في بعض المدن والجبال الأفغانية حال دون وقوع غزوات عديدة على شاكلة غزوة منهاتن وغزوة لندن. غزوات ربما لم تكن لتتوقف عند حدود الولايات المتحدة الأمريكية بل تتعداها أو تسبقها. فتحل في دول أوروبية وحتى عربية وإسلامية.

عرف بأن الخطر الذي يحيط بأمريكا وأصدقائها لا يأتي ممن شرب قساوة جبال تورابورة فقط بل أيضا من رئيس دولة لا يتردد في شن ليس غزوات بل إجتياحات لدول. رئيس عقيدته تبيح له استخدام كل ما يحصل عليه من أسلحة مهما كانت شدة فتكها أو قوة دمارها. حاول أهل بلده التخلص منه عدة مرات فلم يتمكنوا وأصبح واضحا ان الحل لابد أن يأتي من الخارج. تبرع الرجل الرئيس جورج بوش، وتصدى لتلك المهمة الصعبة. أرسل الآلاف المؤلفة من جنود بلاده وهو يعلم ما الذي يمكن ان يتعرضوا له وأخرج مليارات الدولارات من خزينة بلده لإنفاقها على تلك المهمة. تكللت المهمة بالنجاح وأعلنها صريحة من على ظهر إحدى حاملات الطائرات الأمريكية: «المهمة أنجزت». سقطت بغداد وفر بطل أم المعارك الى جحر يختبيء فيه من صيادي بوش. ولكن الصيادين تمكنوا من تحديد الحفرة التي تأويه فأخرج منها فاغرا فاه مسلما أمره لأسره. أنشئت محكمة تحاكمه على جرائمه ومع أول قضية حوكم فيها عليه بالإعدام. ولم يبق ليحاكم هو بالإضافة لسائر المدن الأمريكية الشهيرة.

صحيح ان خلفيته الداوودية وانفعالية ليول ما حدث دفعاه لإستخدام كلمة «صليبية» لكن الرجل عاد وسحب كلمته وزار المركز الإسلامي في واشنطن وإعتذر. وحتى بمنع غزوات لادنية (نسبة الى بن لادن) قام بمهاجمة من خطط الغزوات وطارده في مقاره وجحوره ليمنعه من تكرار عمله، دافعه في ذلك حماية بلده والبلدان الصديقة لبلده من غزوات مماثلة. الذي لا شك فيه هو ان هجومه على كابول وتورابورا وغيرها في بعض المدن والجبال الأفغانية حال دون وقوع غزوات عديدة على شاكلة غزوة منهاتن وغزوة لندن. غزوات ربما لم تكن لتتوقف عند حدود الولايات المتحدة الأمريكية بل تتعداها أو تسبقها. فتحل في دول أوروبية وحتى عربية وإسلامية.

عرف بأن الخطر الذي يحيط بأمريكا وأصدقائها لا يأتي ممن شرب قساوة جبال تورابورة فقط بل أيضا من رئيس دولة لا يتردد في شن ليس غزوات بل إجتياحات لدول. رئيس عقيدته تبيح له استخدام كل ما يحصل عليه من أسلحة مهما كانت شدة فتكها أو قوة دمارها. حاول أهل بلده التخلص منه عدة مرات فلم يتمكنوا وأصبح واضحا ان الحل لابد أن يأتي من الخارج. تبرع الرجل الرئيس جورج بوش، وتصدى لتلك المهمة الصعبة. أرسل الآلاف المؤلفة من جنود بلاده وهو يعلم ما الذي يمكن ان يتعرضوا له وأخرج مليارات الدولارات من خزينة بلده لإنفاقها على تلك المهمة. تكللت المهمة بالنجاح وأعلنها صريحة من على ظهر إحدى حاملات

محاربة إسرائيل خط أحمر بالنسبة له

الصغير، حتى يوجهوا جهودهم وطاقاتهم نحو التعمير والتطوير بدلا من عيشة عدم الاستقرار الذي تولده العداء مع الدولة العبرية فانهوه بالسعي لخدمة إسرائيل وحمايتها. أراد إبراحتهم من المنظمات التي تثير القلاقل في مجتمعاتهم فانهوه بمحاولة القضاء على المنظمات المقاومة للعدوان الإسرائيلي والتطبيع معه.

ما الذي يريدون من الرجل؟ إن كانوا يحلمونهون في معاولتهم معاملة متساوية مع الدولة العبرية فذلك بالتأكيد حلم لا هو بالواقعي ولا المنطقي. حلم لا يستطيع لا بوش ولا أي رئيس أمريكي آخر تحقيقه لهم. محاربة إسرائيل خط أحمر بالنسبة له.

لقد قالها علنا مرارا وتكرارا بأن ما تعمله اسرائيل وما تقوم به من مجازر وتدمير هو دفاع عن النفس وفي المقابل كل حجر ترمى به إسرائيل، سواء أصاب أحدا أم لم يصب، هو عمل إرهابي. فهل قال لهم غير ذلك حتى نقول أنه خدعهم أو حتى (عشتهم)؟ إن كانوا يحلمون في مساعدته لهم في عملية الديمقراطية فذلك وهم يجب ان يفوقوا منه. الرجل يعي جيدا بأن من يتعامل معهم غير مأمونى الجانب. إذا كان الواحد منهم ما إن تقوى شوكته حتى سارع الى ظلم أخيه وجاره وقام بتكفير ذلك الأخ والجار وحرمهم حقهم، فمن الأولى إذا أن يستخدم مثل تلك القوة والسلطة، أن هي توفرت له ضد الغريب، أمريكا. يتهمونه بسلبهم خيرات بلدانهم وكأن تلك الخيرات كانت بيدهم قبل مجيء بوش وهو الذي إنتزعها منهم قسرا! يتهمونه بأن جنوده برتكبون الفضائع في سجن أبوغريب وغيره وكأنه هو الذي قال لهم إفعلوا ذلك أو كان السجون العربية واحة للتأميل. يتهمونه بأنه يسجن أبناءهم في غوانتنامو و كأنه جاء لبلدانهم وسحب أبناءهم من احضانهم وطار بهم الى ذلك السجن. يتهمونه بأنه يتدخل في شؤونهم الداخلية وكأنهم لم يطلبوا ذلك منه.

أراد لهم السلام مع جارتهم ذلك البلد الديمقراطي الذي يكاد يكون الوحيد الذي تنطبق عليه هذه الصفة، باستثناء العراق وأفغانستان، وهما حالتان خاصتان، لأنها استهدفت مدنيين إسرائيليين كانوا يتسوقون في مخبز بأحد المراكز التجارية، فقتلت منهم ثلاثة وأصابت ما يقرب من مائة، على الرغم من أن التجربة أثبتت أن المستفيد الوحيد من اتخاذ المدنيين هدفا لهذا النوع من العمليات، إسرائيل التي تستثمرها عادة لكي تشوه سمعة المقاومة الفلسطينية، وتقوي الاتجاه المتشدد في سياستها تجاه الحلول المطروحة للصراع، وتدعم الاتجاه العالمي الذي يصم المقاومة بالارهاب، ويدرجها ضمن قوائمه، مما أدى إلى انكماش عدد المتعاطفين مع الحق الفلسطيني بين صفوف الرأي العام العالمي، خصوصا في أوروبا، على عكس العمليات المسلحة التي تتوجه إلى أهداف عسكرية، لا يستطيع أحد أن يدينها، حتى لو كان الرئيس الأمريكي نفسه.

المهم وهو أن الرسالة التي حملتها عملية إيلات، لم تصل إلى العنوان الذي أراد مخططو العملية أن تصل إليه. فطبقا لما قالته حركة الجهاد الإسلامي، إحدى الجماعتين المتنازعتين على شرف القيام بها، إنها كانت – جزئيا – بمثابة رسالة إلى حماس وفتح للتوحد ضد إسرائيل، وقالت والدة منفذ العملية محمد السكسك، وهو شاب في العشرينات من عمره، استشهد فيها، أن هدفه كان إيقاف الاقتتال الداخلي في فلسطين، ونقلت عنه قوله لها قبل أن يغادر منزله لتنفيذها، لا بد أن تصحو حماس وفتح، فالاقتتال بينهما جريمة لا يستفيد منها إلا العدو.

وفي تنويعة على اللحن نفسه، قال ناطق باسم حركة الجهاد إن العملية جاءت في توقيتها المناسب، كصرخة توقظ ضمائر الاخوة المتقاتلين في فتح وحماس لتعيدهم جميعا إلى جادة الصواب والحق، ولتقول لكل أبناء الشعب الفلسطيني ان عدونا الذي ينبغي توجيه كل الحراب إلى صدره، هو العدو الصهيوني المجرم الذي يعيث فسادا وإفسادا في أرضنا ومقدساتنا، وهو ما أيدته بقية الفصائل الفلسطينية.

ومع أن كثيرين أدهشهم التناقض بين سرايا القدس، وكتائب شهداء الأقصى، أو بين حركتي الجهاد وفتح للحصول على شرف القيام بالعملية، إلا أنهم لم يحاولوا البحث عن حل لهذا اللغز، بعد أن أصبحت مثل هذه المنازعات ظاهرة متكررة، بقدر ما توقفوا أمام التناقض بين موقف قيادة حركة فتح، التي أدانت العملية، وبين قيام جهازها العسكري بها، منفردا أو بالاشتراك مع غيره، كما توقفوا أمام التناقض بين كون كتائب الأقصى، وهي جزء من فتح، وقد اختارت هذه الطريقة لكي ترسل إلى قيادتها رسالة تنبهها فيها إلى وقف الاقتتال الداخلي بينها وبين حماس، مع أن هناك وسائل كثيرة تستطيع بها أن تبلغ قيادتها مضمون الرسالة، من بينها أن تنأى بنفسها عن هذا الاقتتال، ولا تشارك فيه، وأن تمارس نفوذها التنظيمي داخل الحركة للدعوة لوقفه، أو أن تستخدم قوتها العسكرية للفصل بين المتحاربين والحيلولة دون مشاركتهما في ارتكاب الجريمة التي لا يستفيد منها سوى العدو.

ما يلفت النظر كذلك أن المرسل إليه الثاني، الذي وُجهت إليه عملية إيلات، وهو حركة حماس، قد تجاهل تماما أن الرسالة موجهة إليه، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أن الهدف الرئيسي منها هو وقف جريمة الاقتتال الداخلي، التي تشترك حماس مع فتح في ارتكابها، واكتفى المتحدث باسم الحركة، أن يصدر الرسالة، لطرف ثالث، هو المرسل إليه الفرعي، وهو الاحتلال الإسرائيلي، مؤكدا أن من حق المقاومة أن تدافع عن أبناء الشعب الفلسطيني، مشددا على أن العملية تأتي في سياق الردود على جرائم الاحتلال الإسرائيلي.

على الأرض وفي اليوم نفسه، تواصل الصدام الدامي بين فتح وحماس، فقُتل ثلاثة أشخاص ليرتفع عدد ضحايا الصراع بين الطرفين إلى 33 قتيلاً، وأكثر من 100 جريح خلال أربعة أيام، على الرغم من أن الطرفين كانا قد وافقا على دعوة العاهل السعودي لوقف الاقتتال بينهما، وعلى الاجتماع في مكة، للبحث عن صيغة للتوافق تقوم على اعتبار الدم الفلسطيني خطاً أحمر، لا يجوز لأحد أن يتخطاه.

وبصرف النظر عما إذا كانت رسالة إيلات هي الصياغة الأفضل لعودة الخط الأحمر الفلسطيني ليفصل بين الفريقين أو لم تكن، فإنها لسوء الحظ لم تصل إلى من وُجهت إليهما.

المستفيد الوحيد إسرائيل التي تستثمرها لكي تشوه سمعة المقاومة